

المراهق .. والأصدقاء



يعتبر موضوع المراهق - والأصدقاء في غاية الأهمية

هناك عوامل ثلاثة في حياة المراهق؛ الأسرة .. والمدرسة .. والأصدقاء .

وهكذا يشكل الأصدقاء العامل الثالث، والمعيار الثالث للمراهق .

ولو اقتصرنا رؤيتنا للمواد في إطار بُعدين اثنين، لقيدت لنا هذه المواد سطحية المظهر . إذ إنه ينبغي الإحساس بالبعد الثالث للمادة حتى تيسر لنا إدراك عمقها، ويمكن أن نقول نفس الشيء بالنسبة للمراهق، فلئن كنا نعرفه من علاقاته داخل الأسرة وفي المدرسة، فإن ذلك يعنى أننا نعرفه على نحو سطحي بعيد عن العمق والكمال، مما يعنى أننا لا نعرفه أبداً؛ ذلك لأن الأصدقاء والأقران والجماعة التي تتقبله أو تنفر منه أكثر أهمية لدى الإنسان في مرحلة المراهقة من الأسرة، وحتى من المدرسة في غالبية الأحيان . .

وتحدد المشاعر التي تجتاح المراهق أثناء وجوده بين أقرانه موقفه من الحياة في المستقبل، وهل سيكون حاسماً أم ميالاً إلى التردد، جسوراً أم منطوياً . وكذلك علاقاته بالناس عموماً . .

سوف تكون سنوات المراهقة من أجمل سنوات عمره؛ إذا كان أقرانه يعترفون له بمكانته، ومهما واجهه من سماجات في المدرسة والبيت . . فسوف يظل يشعر بالثقة في نفسه دائماً . .

أما إذا كان ملفوظاً على الدوام، فإن ذلك قد يصيبه بالإحباط .

أهمية وجود الأصدقاء فى حياة المراهق:

إن الأصدقاء فى حياة المراهق هم الذين يساعدونه على استكشاف طريقه فى الحياة فى هدوء وثقة. ولئن شبَّ الصبى فى عزلة داخل أسرته دون أن يرى أحداً بخلاف أبيه وأمه، فسوف يظل طفلاً لسنوات طويلة، ويقصد الصبيه ذلك بالذات حين يشاكسون الصبى، وينعتونه بأنه (ابن أمه).

هذا ما يجعل الابن تواقاً للانضمام إلى أقرانه، إنه يفعل ذلك ليس هروباً من الملل والكسل، أو أداء الواجبات المدرسية.

أنه يشعر بالفريزة أن مدرسته الأساسية والحاسمة هناك حيث يوجد الصبية أمثاله، وتتوافر الفرص التى يحقق فيها التكافؤ معهم. بل وقد يحظى بوضع قيادى فى وسطهم.

كثيراً ما يتعرض المراهقون إلى تعنيفنا نحن الكبار، فنحن لا نفهم معنى للوقوف ساعات بأكملها فى الشارع أو على السلم، قد نتصور ذلك مضيعة للوقت أو بظالة. غير أنهم فى حاجة لبعضهم البعض. فهم يقضون المساء بطوله يثرثرون حول كل شىء يخطر على بالهم، يتناقشون فى أمور شارعهم، والشارع المجاور لهم، وكذلك فى أمور حيهم. إنهم فى أمس الحاجة لمناقشة كل شىء والتفكير فى كل شىء، وإدراك كل شىء. . . ويظل المراهق واقفاً مكانه فى الشارع مستنداً إلى الحائط حتى الحادية عشرة، وربما حتى الثانية عشرة، على الرغم، أنه يعلم جزاء ذلك من ذويه.

وتساعد صحبة الأقران المراهق على تحقيق استقلاليته التى يحتاجها فى علاقته بالأسرة، والابتعاد عاطفياً بعض الشىء عنها، وإرخاء عنان الارتباط بها.

ويستطيع الصبى المحب لذاته الإقدام على أى شىء بغية اكتساب تقدير الآخرين. . . وهكذا يتخلص المراهق المسكين من أسر عائلته ليقع فى حبال العبودية. فهو الآن عبد لأقرانه، إنه يلتزم بارتداء نفس الملابس التى يرتدونها، واستخدام نفس الكلمات التى تجرى على ألسنتهم وتصعق الكبار عند سماعهم

لها، والاهتمام بنفس ما يهتم به الآخرون، واتباع نفس القواعد فى التعامل مع الجنس الآخر. وكل ذلك أمور بالغة الأهمية.

وتعتبر آراء الأقران بالنسبة له وفى الأغلب الأعم أكثر أهمية من آراء الكبار ووالديه ومعلميه.

ويكتسب المراهق فى صحبة رفاقه ومن انصياعه لهم الكثير من النتائج الطيبة. والسيئة كذلك . . . فيتعلم الصغار (١١-١٢ سنة) التهور، وكذلك العريضة والشفاوة، حيث يبدأون فى استهتارهم بكثير من الأمور. ويحدث أن يستخدما أقدع الألفاظ وأن يدخنوا، بل وأن يتعاطوا الخمر وهم لا يزالون بعد صفارا . .

الصداقة فى سن المراهقة عاطفية تماما وعميقة جدا وأحيانا قصيرة جدا؛

فالمراهق مع تغيراته الفسيولوجية والنفسية يهتم بالانتماء إلى شلة الأصدقاء وهم عادة من نفس الجنس. . . وتزداد أهمية الأصدقاء له، وتكوين علاقات معهم ومن الصعب أن يتخلى عن أصدقائه ورفاقه الذين يضع فيهم ثقته التامة، فيفضى إليهم بما يعتمل فى نفسه من خواطر، وأفكار، ومشاعر، ويعبر لهم بكل حرية عن خططه وآماله ونزعاته. وهو بدوره يهتم بكل ما يقولون ويحاول أن يتوحد معهم.

المراهق يحل مشكلاته بنفسه مع أصدقائه

إن المراهق فى هذ المرحلة يعتقد أنه لا يجد فهما كافيا من الكبار الذين يحيطون به وأن هناك فجوة ثقافية ونفسية واجتماعية بينه وبينهم، تقف حائلا دون أن يفهموه فهما حقا.

ولأن المراهق أصبح يشعر أنه كبير فلإننا نجد أنه إذا اختلف مع أصدقائه فإنه لا يهرع شاكيا لأهله، ولكنه يحل مشكلاته معهم بنفسه.

والمشكلات بين الأصدقاء من البنين أكثر منها بين الصديقات من البنات، إذ إن البنات صداقتهن أعمق وعلاقتهن أكثر حنانا.

والخلافات عموما بين الأصدقاء فى هذه السن كثيرا ما تكون بلا سبب، والهدف منها هو الوصول إلى مرحلة اكتئاب مؤقت ومطلوب. لأن المراهق فى تلك الفترة من التغيرات العاصفة كثيرا ما يحس بالاكئاب بلا سبب. وهذه

الخلافات هي إحدى وسائل إيجاد سبب للاكتئاب، وهو ما يسمى «بالاكتئاب المبرر».

والمعارك مع الأصدقاء قد تكون أحيانا ضد صفة (كذب .. غش .. جشع) أو تصرف (مزاج ثقيل .. كلام جارح) كثيرا ما يعمل المراهق نفسه أي أنها ثورة على ما يعلم أنه خطأ فيه هو نفسه.

ورغم ما يصيب المراهق في معاركه مع الأصدقاء من جرح لعواطفه وغروره، إلا أنها تعلم المراهق تحمل الألم النفسى، ومعايشته كتدريب على ما سيقابله في حياته مستقبلا.

الصدائة وسيلة المراهق للخلاص من ارتباطه بالأهل ومحاولة للاستقلال؛

إن الطفل المراهق المتعلق بأهله تصبح له صداقات صحيحة مع زملائه من نفس الجنس كوسيلة للخلاص من ارتباطه بالأهل. وهذه المحاولة للاستقلال قد تغضب الأهل أو تشعرهم أنهم غير مطلوبين، ودون إدراك أن عواطف المراهق تتحرك فى اتجاهات مختلفة متناقضة بسرعة عظيمة.. فمن حب شديد وقلق بالوالدين، إلى غضب شديد وتعلق بالوالدين، إلى غضب شديد منهما لأمر أصدره أو تحذير منهما إلى شعور بالذنب. فهذا الغضب وهذه العواطف المتبادلة، يجب أن يضعها الأهل فى اعتبارهم عند معاملتهم للمراهق وأصدقائه.

أهمية الصداقة للمراهق ودور الأهل؛

الصداقة عموما لها أهمية كبيرة فى حياة المراهق، وفى ثقته بنفسه فهى تعطيه ذلك الإحساس بحب الناس له، وأنه مطلوب ومرغوب لذاته.

والمراهق فى ذلك يقلد الأهل فى صداقاتهم وتعاملهم مع أصدقائهم أنفسهم وحتى لو كان يعترض على تصرفات الأهل أو ينقدها لهم، فإننا نجد يتصرف نفس التصرفات مع أصدقائه..؛ ولذلك يجب أن تكون تصرفات الأهل أمام المراهقين على أفضل مستوى، وبالطريقة التى يرغبون فى أن يتصرفوا بها.

يجب أن يلاحظ اختلافه مع أصدقائه، فإنه من الخطأ أن يؤخذ جانب الابن دائما، والوقوف فى صفه بغض النظر عن مسؤوليته فى هذه الخلافات، وهل هو على حق فى تصرفاته أم لا.. ولكن يجب أن تكون تصرفات الأهل إلى جانب

الحق ومواجهة المراهق برأيهم، وشرح موضع الخطأ. . . وبذلك يهيا نفسيا لتكوين الشخصية التي سيواجه بها المجتمع، حيث يجب ألا يحسن أن خلافاته مع أصدقائه مأساة ضخمة، وإنما هي إحدى مشكلات الحياة اليومية.

المراهقة والولاء للجماعة:

إن الولاء في الطفولة يرتبط بالاتجاه للاستقلال الذاتي والاعتماد على النفس. فالطفل الصغير، والفتى الناجح يظهران الولاء للأفراد والجماعات التي تشبع حاجاتهم المباشرة، ومن ثم يولد في نفوسهم بالتدرج شعورا بالقربة والأمن. . . . فالأفراد والجماعات بهذا المعنى تستخدم كوسيلة لتنمية الاعتماد على النفس، لأن اتجاهات الناشئ في المرحلة ما زالت تتجه إلى مركزية الذات، ولا يستطيع الفرد أن يحقق لنفسه المكانة التي يريدها بالنفس التي ينشدها إلا بواسطة الآخرين.

إن الولاء الإيجابي الناضج يبدأ في ظهوره في المراهقة. إذ في هذه المرحلة يصبح للأفراد الآخرين قيمة في حد ذاتهم. وقد يكون لهؤلاء الأفراد أو الجماعة أو لأى مثل أعلى تعتنقه الجماعة تأثير في سلوك الفرد أقوى من تأثير رغباته.

وعندما يقبل المراهق على المشاركة الجماعية والإسهام في عمل يعتبره أعظم من ذاته الفردية، فإنه يكون قد خطا خطوة واسعة في طريق العلاقات الإنسانية. ويتمثل تدرج الاتجاهات الاجتماعية في الولاء: للأسرة، والجماعة للعب الصغيرة، ولل فريق، وللمدرسة، والسيارة، وأخيرا للإنسانية.

ويمهد النموذج أو المثل الأعلى المحسوس للبطولة السبيل للمراهق لتكوين المثل الأعلى المعنوى أو المبادئ التي توجه حياته توجيها قائما على الأخذ والعطاء.

فالمراهق لم يعد يرى نفسه مجرد مقلد لشخص آخر، حيث إنه قد اكتشف نفسه. فهو يتعلم الحياة مع الآخرين، والتكيف معهم دون أن يخشى انفرادة بشخصية متميزة. فإنه يكون قد استطاع الانتقال من مرحلة القطيع، وينجح في تحقيق أحد أهداف النمو الخاصة بالمراهق.

مشكلة المراهق مع الأصدقاء:

١- الصداقة الصحيحة والسيئة:

ينسب الأهل بحكم حبهم لابنهم المراهق - كل التصرفات التي لا تعجبهم إلى أصدقاء السوء لأنه فى نظرهم ما زال ذاك الطفل أو الطفلة منذ سنوات مضت . . ولا يسأل الأهل أنفسهم أبدا لماذا ينقاد الطفل ويتأثر بالصحة السيئة؟ .

لماذا يطيع أفكارهم الشريرة؟

والواقع أن كل المراهقين كما ذكرنا من قبل متمدون بطبيعة نموهم .

والتصرفات السيئة التي لا تعجب الوالدين إنما هى صورة من صور ذلك التمرد؛ ولذلك إذا وجد المراهق نفسه ضمن مجموعة من الأصدقاء تشجعه وتعطيه المساندة بل الإعجاب بأعماله الجريئة (فالغش براعة، السرقة فهلوة، واضطهاد الأطفال فتونة، ومعاكسة البنات فتاكة).

دور الأهل:

لذلك ينبغي مواجهة المراهق بتصرفاته السيئة بحزم وجدية لإيقاف المشكلة فى أولها قبل أن تستفحل . . وعندما نقول الحزم والجديه، فهذا لا يعنى الشجار مع المراهق وإصدار فرمان قاطع بحرمانه بالتوقف عن سلوك معين، ولكن المتصور هو مناقشة الموقف مع المراهق وشرح خطورة وضرر هذه التصرفات، وبالتالى سوء اختياره لمجموعة الأصدقاء .

كما يجب أن يكون واضحا لديه تماما حب الأهل له وخوفهم عليه، وقلقهم من أجله، وأن تصرفاته تسيء إليه هو نفسه أولا . وبمناقشة الأمور بهدوء يمكن فى أغلب الأحوال خروج المراهق من دائرة صحبة السوء .

ولكن هناك نقطة مهمة يجب أن تكون واضحة تماما وهى أنهما مهما كانت الحجج قوية، والشرح مقنعا عن مساوى أفعاله بنفسه وبالأخرين، فلا فائدة من كل ما يقال ما لم يضرب له الوالدان المثل الجيد وتتطابق أفعالهما مع نصائحهما .

فالمرهق الذى يستمع إلى والده وهو ينصحه بعدم الغش فى الامتحان، وهو يرى أنه ذلك الوالد التاجر مثل يياهى بغشه للزبائن، لا يمكن أن يقتنع . . . وما

فائدة الحديث عن النعيم والجحيم، والحلال والحرام، والسرقه وعقوبتها عند الله والقانون... وهو يرى الأسرة تتفنن فى سرقة التيار الكهربائى، وتعتبر أن ذلك شطارة... إلخ؛ ولذا فالمثل الجيد الذى يضربه الأهل للمراهق له أهمية كبيرة فى إقناعه بصدق نصائحهم وأهميتها.

إذا كان المراهق زعيم المجموعة السيئة:

والمشكلة تكون أكثر تعقيدا إذا كان المراهق ليس فردا فى شلة سيئة التصرفات ولكنه هو نفسه زعيم المجموعة وفانداها.

وهنا لا يكفى كلام الأهل ونصحهم بل لا بد من اللجوء إلى المساعدة المدرسية والإخصائى الاجتماعى، والطبيب النفسى.

فقد يبدأ بضرب الأطفال بالمدرسة، وقد تنتهى بمعارك فى النادى والشارع يستعمل فيه الأيدى والخناجر. وقد يبدأ بسرقة أقلام من الإخوة وزملاء الفصل، وقد ينتهى بسرقة سيارات المنازل.

لذا يجب الاهتمام بإيقاف مثل هذه التصرفات السيئة حتى لو كانت تبدو بسيطة فى بعض الأحيان... كى لا تزداد سوءا.

فإنه لو أهملت ممكن أن تستفحل، ويتورط المراهق فى مشكلات عميقة تماما تسيء إلى مستقبله.

٢- المراهق وميله الشديد إلى الوحدة.

وهى مشكلة عكسية تماما لما سبق، إذ يرغب المراهق فى الوحدة... فهو لا يرغب أحيانا فى الجلوس مع الأصدقاء، ولا الخروج معهم، ولا يرغب فى الجلوس فى المنزل مع الأهل والإخوة، بل يرغب فى أن يترك وحيدا..

ويشكل فترات ليست طويلة، بل هى فى أغلب الأحوال بضع ساعات قد تطول إلى يوم أو اثنين، ثم يعود المراهق إلى سابق عهده من الاختلاط بأصدقائه وإخوته.

والمشكلة: أن منازل العصر الحالى يصغر حجمها إذ أصبحت لا تعطى فرصة لأى من أفراد الأسرة يجلس وحيدا يتأمل أو يحلم أحلام اليقظة لتخفف عنه ضغوط الحياة اليومية.

وبعض المراهقين يثور عند إحساسه بعدم تمكنه من الجلوس، ويبدأ بتدخل الآخرين فى أفكاره وكلامهم معه.. والبعض الآخر يستطيع أن يحقق وحدته وهو بين الآخرين، ولكنه يغلق حواس السمع والبصر عنهم، وبذلك يمكنه أن يخلق فى سماء أفكاره الخاصة، ويحلم أحلام يقظة كما يشاء.

كما يمكنه أن يذاكر دروسه، وسط صوت إخوته ولعبهم، وأصوات الراديو، والكاسيت، متداخلة من حوله، وهو لا يرى أمامه إلا كتابه يقرأ فيه ويحفظ منه أو رواية يتسلى بها، أو لا يعمل شيئا يترك عقله حرا طليقا يفكر فيما يشاء أو يفكر كما لو كان جالسا وحده تماما.

المهم أنه سواء كانت طريقة المراهق الأولى أو الثانية، فمما لاشك فيه أن فترات الوحدة هذه لها أهميتها، ويجب احترام رغبة المراهق فى تركه وشأنه دون تدخل الأهل، ولا داعى للقلق، إلا إذا أصبحت تلك الفترات متصلة بحيث أصبح المراهق منطويا على نفسه، لا يكلم أحدا، ولا يرغب فى الاشتراك فى مجالس الأسرة، أو الخروج مع الأصدقاء.

إذا أصيب المراهق بهذه الانطوائية الشديدة لمدة تزيد عن يوم أو اثنين، فمن الأفضل عرض المشكلة على الإخصائى الاجتماعى أو الطبيب النفسى. فهما أقدر على بحثها وعلاجها مبكرا، حتى لا تترك آثارا ضارة بصحة المراهق نفسه.

٣- التعلق الزائد بين المراهقين:

ومن الظواهر الشائعة فى عالم الأصدقاء، الذى يعيش فيه المراهقون، ظاهرة التعلق الزائد بين المراهقين، ويمكن اعتبار هذه الظاهرة مرحلة سوية، من مراحل النمو، إلا أن هناك حالات معينة من هذه العلاقات القوية بين أفراد من نفس الجنس، تحتاج إلى اهتمام جدى بسبب ما تقوم به من شدة واستمرار لوقت طويل.

إن نمو هذه العلاقات بين التعلق الزائد تعوق نمو العلاقات الاجتماعية نموا سليما، وبالذات لدى البنات أكثر منها لدى البنين. فالمراهقتان تفتخران وتباهان بإخلاص إحداهما للأخرى. وهما مقتنعتان تماما بأن هذه العلاقة شيء خاص بهما وحدهما. . ومن ثم فليس هناك من يفهمهما، وأن أى محاولة للحيلولة دون استمرار هذه العلاقات التي توصف بالتعلق الزائد أو حتى مجرد التدخل للحيلولة دون استمرار هذه العلاقات، يقابل بالثورة والتمرد. كما أن أى نقد يوجه للمراهقين بهذه الصورة سواء صدر من الأصدقاء أو من أفراد الأسرة يقابل بالاستنكار والاستياء.

لذلك: ينبغي أن تعالج هذه الظاهرة بحكمة، وأن يوجه الاهتمام إلى المراهقين المشتركين فى هذه العلاقة، وليس إلى العلاقة ذاتها. فالمرهق يلجأ لمثل هذه العلاقة حين يعجز عن التعايش بطريقة سوية مع المجموعة، أو حين يساوره الخجل أو يحس بالنقص، وعدم الثقة الكافية بنفسه. . والتخفيف من هذه العلاقة يتطلب مهارة وحزما من جانب الراشدين الذين يحاولون مساعدتهما ليجدا طرقا أخرى لإنهاء ميول يجدان فيها بديلا عن التعلق. . وفى نفس الوقت يساعدانها على أن يفهم كل منهما فهما أحسن.

وتلعب الأسرة فى هذا الصدد دورا حيويا، فينبغى أن يشعر المراهق بالتسامح، والتقبل وفى نفس الوقت يبصره الآباء لآفاق أبعد وأفضل من الصراعات. فيدعون إلى المنزل أصدقاء الأسرة ذوى شخصيات جذابة. يحاولون توطيد صداقات جديدة. كذلك يكون من هذه المجالات تنظيم زيارات ورحلات ومعسكرات تفرق مؤقتا بين المراهقين، حتى يتيحوا لهم الفرصة لاستطلاع عالم أفضل وأوسع من ذلك العالم الضيق المحدود الذى يعيشون فيه.